محاضرات في تاريخ النظم القانونية نظم مصر الفرعونية

تمهيد:

تعتبر حضارة مصر الفرعونية من أولى الحضارات في تاريخ البشرية، وقد خضعت مصر عبر تاريخها إلى سيطرة عدة شعوب فقد غزاها الأشوريون والإغريق والرومان والذي بقوا فيها حتى الفتح الاسلامي. وقد جرى الباحثون على تقسيم دراسة تاريخ القانون في مصر إلى عدة عصور تبدأ بالعهد الفرعوني وهو العهد الأساسي للحضارة الفرعونية الذي يبدأ حوالي 3200 سنة ق.م وينتهي بخضوع مصر لحكم الاغريق عام 332 ق.م تاريخ تأسيس دولة البطالمة. ثم العصر البطلمي الذي يبدأ عام 332 ق.م وينتهي بخضوع مصر للرومان سنة 31 ق.م، ثم العصر الروماني الذي يبدأ سنة 31 ق.م وينتهي سنة 641 م بدخول العرب المسلمين. وأخيرا العصر الاسلامي الذي يمتد من تاريخ 641 م إلى الآن. وستقتصر دراسة القانون المصري على العصر الفرعوني فقط حيث ساد قانون مصري أصيل نابع من بيئة مصرية.

أولا . التنظيم السياسي والإداري

01 . التطور السياسي

يقسم التاريخ الفرعوني إلى أسر حيث كل أسرة حكمت لفترة معينة، وتضم عددا من الملوك المنتمين إليها وعدد هذه الأسر حسب المؤرخين هو 30 أسرة تبدأ من أسرة الملك مينا حوالي 3200 ق.م وتنتهي بالأسرة الثلاثين ومن جهة أخرى قسم تاريخ مصر السياسي خلال هذه الفترة إلى ثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: الدولة القديمة 3000 ق.م-2270 ق.م

وتشمل حكم الأسر من الأسرة الأولى إلى آخر حكم الأسرة العاشرة عرف هذا العهد في التاريخ بعهد بناة الاهرامات وهم ملوك الأسرة الثانية حتى نهاية الأسرة السادسة. يعتبر هذا العهد من أرقى عهود الحضارة المصرية.

أسست الدولة القديمة في شمال مصر وعاصمتها مدينة منف (منفيس) وقد كان يطلق على هذه المنطقة اسم مصر السفلى، نظام الحكم ي الدولة القديمة مؤسس على فكرة الحق الالهي ومن

هنا كانت سلطة الحاكم مطلقة فهو الكاهن الأعظم والقائد العلى للجيش والآمر الناهي في كل شيء. إن مفهوم الألوهية قد تطور خلال هذا العهد حيث انتقل من كون الفرعون ابنا للإله ليصبح الفرعون الصورة المجسدة للإله على الأرض والذي يرث عنه السيادة المطلقة. بدءا من الأسرة الرابعة أصبح الفرعون يعتقد نفسه إلاها اعظم فوق البشر وعليه اصبح الملك يهتم بالناحية الدينية وعبادة الناس له وأسند إدارة الدولة إلى موظفيه ورجال الدين ومن هنا تكونت طبقة عليا لها كل الامتيازات والتي أصبحت وراثية. وعليه تحول المجتمع إلى مجتمع طبقي وانتشر النظام الاقطاعي في عهد الأسرة الخامسة وأصبح حكام الأقاليم يتمتعون بسلطة كبيرة وبدأت تضعف السلطة المركزية وهو ما ساعد في الاستبداد وانتشار الظلم وساءت حالة البلاد وعمت الفوضى ما أدى إلى قيام ثورة أسقطت حكم الأسرة العاشرة وسيطرة الأسرة الحادية عشر وهو بداية المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: الدولة الوسطى 2100ق.م-1650ق.م

وتشمل حكم الأسر من الأسرة الحادية عشر إلى الأسرة السابعة عشر انتقلت خلال هذه المرحلة عاصمة الدولة إلى مدينة طيبة في جنوب مصر ويطلق على هذه المنطقة مصر العليا، وقد شهت هذه المرحلة تغير الآلهة حيث تحول المصريون إلى من عبادة الإله رع إلى عبادة الإله آمون إله مدينة طيبة.

بدءا من عهد الأسرة الثانية عشر استرجع الملوك سلطتهم ووضعهم الإلهي وأصبح الفرعون يراعي تطبيق العدالة وساهم في تحطيم الحواجز بين طبقات المجتمع التي أصبحت متساوية امام القانون والآلهة لكن وضع الاستقرار لم يدم طويلا فبسقوط الأسرة الثانية عشر دخلت مصر مرة أخرى في الفوضى وتعرضت لغزو شعوب الهيكسوس(وهم قبائل هندو أوروبية هاجرت من اواسط آسيا حوالي القرن العشرون قبل الميلاد لتستقر في بلاد الرافدين وسوريا ومن ثمة قامت بغزو مصر حيث حكموا البلاد حوالي القرن السابع عشر 1650-1550 قبل الميلاد) وبعد طردهم تم توحيد البلاد وتأسيس الأسرة الثامنة عشر وهي بداية المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: الدولة الحديثة 1555ق.م-1050ق.م

وتشمل حكم الأسر من الأسرة الثامنة عشر إلى الأسرة العشرون وعاصمتها طيبة. تميز عهد الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر بالازدهار خاصة من الناحية العسكرية واستطاعت مصر ان تمد نفوذها إلى سوريا وفلسطين ومن أشهر ملوكها تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني،

لكن مصر تعرضت مرة اخرى للضعف ابتداء من الأسرة العشرون بسبب سيطرة الكهنة على الحكم والذين أصبحوا في مرتبة الملك.

بسقوط الأسرة العشرون سقطت الدولة الحديثة ودخلت مصر في ضعف كبير وأصبحت في كثير من الأحيان تابعة إلى دول أخرى وذلك من عهد الأسرة الواحدة والعشرون إلى الأسرة الثلاثون.

02 . نظام الإدارة في مصر

كانت الإدارة في مصر الفرعونية منظمة تنظيما محكما تضمن نقل الأوامر وتنفيذها بسهولة ويسر بين الإدارة المركزية والمحلية وقد ارتبط تقدم مصر بقوة السلطة المركزية وتركيز الادارة.

أ . الإدارة المركزية

مقرها القصر الملكي حيث يتولى الفرعون الإشراف على جهاز الدولة الإداري حسب مشيئته حيث يستقبل الناس ويتخذ القرارات وتقرأ عليه المراسلات والتقارير في جميع المجالات ويساعده في ذلك موظفون هم:

. الوزير الأول: عرفت مصر نظام الوزارة في مطلع الأسرة الرابعة حينما عين الفرعون ابنه مستشارا له ووزيرا أولا وقد أصبح الوزير فيما بعد يختار من بين الأمراء الذين لهم خبرة في الإدارة في البلاط الملكي وقد عرف الوزير الأول أيضا باسم كبير القضاة لأنه كان يرأس المحكمة العليا التي تنعقد في القصر الملكي نيابة عن الملك.

. مجلس العشرة: يرأسه الوزير الأول يتكون من 10 أعضاء من كبار الموظفين من رؤساء الدواوين العامة وبعض حكام الأقاليم ولا يضم أحدا من رجال الدين أو العسكريين والملك هو الذي يختار أعضائه. يختص المجلس بالإشراف على إدارة كل مرافق الدولة وتنظيم الأشغال العامة ومياه النيل والتمويل، يضع الخطط والبرامج لتسيير الدولة وهو المنفذ لسياستها العامة.

. الموظفون: يخضع الموظفون في تعيينهم وعزلهم وترقيتهم أو نقلهم لإرادة الملك الذي يحدد أيضا اختصاصاتهم وهو يعملون في دواوين الحكومة حيث نجد على رأس كل ديوان مدير يخضع مباشرة لمجلس العشرة ومن أهم هذه الدواوين نذكر: ديوان الرسائل، ديوان الخاتم الذي يختص بالتسجيل والتوثيق للمراسيم الملكية والاحصاء العام لسكان وممتلكاتهم ودفاتر الحالة المدنية وسجلات الأملاك...الخ وديوان المحفوظات، ديوان الضرائب، ديوان الخزانة، ديوان الأشغال

العامة، ديوان الأملاك العامة، وعليه نجد أن من أهم أعمال الموظفين مراقبة النشاطات الفردية وإحصاء السكان والحيوانات والأراضي من أجل تقدير الضرائب وتسيير المخازن والمحلات التي توضع فيها هذه الضرائب.

ب . الإدارة المحلية

قسمت البلاد الى وحدات إدارية حوالي 40 وحدة (إقليم) يشرف عليها حكام يعينهم الفرعون مباشرة ولما تعددت الأقاليم عين حاكم يشرف على حكام الأقاليم يسمى حاكم القصر، كان الحكام يتقيدون بأوامر الملك، كما كان بإمكانهم اتخاذ الاجراءات اللازمة في حالة الضرورة بشرط العودة إلى الملك وكان هذا خاص في المرحلة الأولى من عهد الدولة القديمة ثم فيما بعد تمكنت هذه الاقاليم من الاستقلال وأصبح الحكام أمراء للأقاليم.

أما على مستوى القرى فيوجد مجلس يتكون من الفلاحين والحرفيين والكهان يرأسه حاكم يختاره السكان، كان له دور مالي وقضائي وتوثيقي لكن ليس له سلطة لأنه تحت رقابة موظفي الفرعون.